



يعتبر الإرهاب من أخطر التحديات التي تواجه العالم حالياً، وهذا ليس بسبب قوته العابرة للحدود والقارات، ولا أنه لا يمكن القضاء عليه، في ظل عالم يتسابق نحو التسلح بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة، بل بسبب واحد؛ هو أن هذا الإرهاب صار تجارة مربحة لأطراف كثيرة، وخاسرة لأخرى.

كيف يمكن أن يكون الإرهاب تجارة رابحة لدى البعض؟

هذا بلا أدني شك أول سؤال قد يطرحه القارئ الكريم، فلا يمكن أن تتحول ظاهرة خبيثة تهدد الأمن العالمي إلى تجارة مربحة لدول في هذا العالم.

يجب أن نفهم شيئاً مهماً للغاية، وهو أن أمريكا التي أعلنت الحرب على الإرهاب منذ أحداث 11 سبتمبر/أيلول 2001 لم تقض عليه، بل نراه في الواقع يزداد ويتتطور، حيث إن تنظيم "القاعدة"، الذي كان عبارة عن مجموعات هاربة في أفغانستان تؤويها طالبان، تحولت إلى بعث دولي، وصار لها أجنة في عدة دول، من جزيرة العرب، إلى بلاد المغرب، ثم اليمن، وغيرها.

الأكثر من ذلك أنه خرج من رحم القاعدة ما يسمى تنظيم "الدولة الإسلامية في العراق والشام"، المعروف اختصاراً بـ"داعش"، يسيطر على جغرافيا تمتد من الموصل العراقية إلى الرقة السورية، ومساحتها تعادل مساحة بريطانيا العظمى، بل إن تنظيم "داعش" صار يمتلك قوة عسكرية هائلة، وأموالاً بالمليارات، واقتصاده مستقل تماماً، بل هو الاقتصاد الوحيد في العالم الذي لا يرتبط بالاقتصاد الدولي أصلاً.

بغض النظر عن الأسباب التي ساهمت في صناعة تنظيم الدولة، وتجاوزاً للجهات التي وجدت مصلحتها في صناعة بعث إرهابي من الطراز العالمي يهدد أمن العالم برمتها، ولكن الذي بهمّ أولاً، وقبل كل شيء، أنه لم تنتبه القاعدة التي ادعت أمريكا أنها جفت منابعها، وأوهنت أجنبتها، بل وصل الحال في بعض الأحيان، خاصة بعد مقتل زعيمها أسامة بن لادن، إلى الادعاء بأن القاعدة مجرد فلول لإرهاب فقط، ولم تعد لها قوة تهدد الولايات المتحدة ولا دول المنطقة أصلاً.

- ترى هل فشلت أمريكا في حربها على الإرهاب؟
- هل كذبت أمريكا في ادعائاتها بالقضاء على الإرهاب؟
- هل أمريكا تصنع الإرهاب وتدعى محاربته؟

ثلاثة أسئلة هي ما يمكن طرحه في سياق الحديث عن تصاعد الإرهاب في العالم، خصوصاً منذ هجمات منهتان في نيويورك عام 2001، فإن كانت أمريكا فشلت:

فهذا يعني أنه توجد أسباب كثيرة أدت إلى هذا الفشل، ويمكن اختزالها في الاحتمالات التالية:

- 1 - الإرهاب كان أقوى من الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا الذي جعله يتقوى أكثر مع حروبها عليه.
 - 2 - يوجد عمل على إفشال أمريكا في حربها على الإرهاب، سواء من دول منافسة لسلطتها على العالم، أو من جهات تستفيد من وجود الإرهاب.
 - 3 - أمريكا هي التي تعمدت إفشال حربها لأسباب إستراتيجية.
 - 4 - أمريكا لا تحارب الإرهاب كما تدعى، بل تقوم بصناعته عبر أجهزتها الاستخباراتية، أو من خلال دعمها لأنظمة مستبدة، أو حتى بإرهاب مارسته واشنطن في العراق وأفغانستان وغيرهما.
- الملاحظ أن كل الاحتمالات واردة، وقد تكون مجتمعة، وأنه توجد مصلحة متخفيّة هي التي تقف خلف تصاعد الإرهاب في العالم، وصار يهدد أمن البشرية برمتها.

ترى ما هي المصلحة، في خضم هذا الصراع الدولي القائم، التي تدفع دولاً ترفع شعارات الديمقراطية، وحقوق الإنسان، والسلم العالمي؛ إلى تفضيل خيار تصاعد الإرهاب؟

ليست مصلحة واحدة، بل توجد مصالح عديدة من وراء "الحرب على الإرهاب"، فأمريكا التي أعلنت هذه الحرب مارست الإرهاب نفسه، فهي غزت العراق؛ بزعم تحريره من الديكتاتورية، وضرب موقع الإرهاب، إلا أنها قتلت العراقيين بالفوسفور الأبيض، ومارست التعذيب في السجون، وتحولت العراق من دولة مستقرة إلى مصدر للإرهاب العابر للحدود، وحتى القارات، بل سلمت بغداد لعاصمة الإرهاب الدولي طهران.

إن كانت أمريكا قد غزت العراق بسبب أسلحته الكيماوية المزعومة، فلماذا لم تفعل ذلك مع سوريا؟ ونظمها اقترف عدة مجازر بالسلاح الكيماوي، وتجاوز خطوطأوباما الحمراء التي وضعها ليشار الأسد، لكنه لم يلتزم بها، ورفسها بحواره أمام العالم برمتها، وبشكل أسوء إلى هيبة الولايات المتحدة.

إن كانت أمريكا قد غزت العراق بسبب الاستبداد كما تدعى، فهل يوجد استبداد أكبر من نظام الأسد الذي قتل أكثر من نصف مليون مواطن سوري، وهجر وعذب وأخفي ونفي وطارد أكثر من 12 مليون نسمة؟

إن كانت أمريكا قد غزت العراق بسبب علاقة مفترضة بين القاعدة ونظام صدام حسين، فقد كانت إيران في ذلك الوقت بالضبط تؤوي قادة التنظيم في بلادها، وتقدم لهم الدعم اللوجستي، بل إن حادثة 11 سبتمبر/أيلول 2001 التي غيرت مسار التاريخ، بدأت تنكشف خيوط الجريمة المنظمة فيها، واتهمت محكمة أمريكية طهران بالتورط في الحادثة، فلماذا لم تتخذ أمريكا أي إجراء ضد ملالي إيران الذين يصنون الإرهاب ويمارسونه على مرأى من العالم؟

هل يعقل أن أمريكا التي غزت العراق للحرب على الإرهاب تسلم بغداد إلى إيران التي تصنع الإرهاب العالمي، وبما لا يختلف فيه اثنان؟

أمريكا هي التي أوصلت عمالء طهران إلى سدة حكم العراق، نذكر أن نوري المالكي اتهم رسمياً نظام بشار الأسد بدعم القاعدة، بل إن سوريا ملاذ آمن للقاعدة، حيث تجري اجتماعات ولقاءات على ترابها، وتحت رعاية مخابراتها تنسق العمليات التفجيرية، وذلك على خلفية تفجيرات 19/8/2009، التي أدت إلى مقتل أكثر من 96 شخصاً، وجرح ما تجاوز 565 مواطناً مدنياً، وأدت اتهامات المالكي إلى سحب سفير العراق من دمشق، ورددت حكومة الأسد حينها بالمثل.

ترى لماذا لم تتخذ أمريكا إجراءات ضد بشار الذي كان يقوض أمن ما سمته "العراق الجديد" بأعمال إرهابية عبر تنظيم القاعدة؟

أمريكا دعمت حكام إيران، حيث سلمت لهم العراق على طبق من ذهب، ورفض أوباما أكثر من 50 مرة خططاً لإسقاط نظام بشار الأسد، وعمل البيت الأبيض على إجهاض كل المشاريع المعارضة للنظام السوري، رغم أنه يمارس الإرهاب، ويصنعه، ويسوقه للعالم، وحتى التفجيرات التي طالت عدة دول أوروبية تحوم الشكوك كثيراً حول مخابرات الأسد، فالمفتي أحمد حسون صرّح من قبل أنه يوجد من سماهم "استشهاديين" في أوروبا ينتظرون الأوامر لتنفيذ عمليات إرهابية؛ في حال تم استهداف نظام الأسد.

بلا أدنى شك أن أمريكا لو كانت جادة في حربها على الإرهاب لما مارسته هي بنفسها، ولما دعمت أنظمة مستبدة، وعلى رأسها نظام بشار الأسد، ولما وقفت مع ملالي إيران الذين يصنون الإرهاب، ويصدرونها إلى دول المنطقة تحت مسميات مختلفة.

لقد وجدت جهات دولية مصلحة في وجود الإرهاب وتمدده، فهي لا تخسر شيئاً في إشعاله، ولكنها تقبض الكثير من الثروات، وتكتب دول المنطقة مليارات من الدولارات للحرب عليه، وهذا لا يمكن أن يتحقق إلا ببيع أسلحة، وتشغيل مرتزقة، وتحريك أمريكا وحلفائها لجيوشهم؛ حتى تكون قريبة من منابع النفط.

لقد ثبتت من خلال وثائق مسرية أن تنظيم "داعش"، الذي يعتبر أكبر التحديات التي تواجه المنطقة في هذه المرحلة الصعبة، قد ساهمت في صناعة قوته كل من إيران وحكومتها في العراق، وحزبيها في لبنان، ونظمها في سوريا؛ لأن وجود هذا البعير سيحقق أهدافاً كثيرة، تكون أولاً في صالح نظام الأسد، الذي سيحول ما يجري في سوريا من ثورة شعبية إلى حرب على الإرهاب.

كما أن "داعش" ستنجح في ضرب خصوم إيران، وعلى رأسها المملكة العربية السعودية، سواء باستهداف مصالحها الخارجية؛ من خلال محاولة تصويرها على أنها مصدر للإرهاب الدولي، أو ضرب منها الداخلي بعمليات إرهابية، أو إجبارها على دخول حرب أخرى تستنزف ثرواتها وقدراتها، وتشغلها عن أهداف إستراتيجية سنوات طويلة.

السعودية بلا أدنى شك فطنت إلى هذه المخططات الإيرانية الخبيثة، ولذلك تحركت لصناعة تحالفات إقليمية ودولية، وأيضاً

العمل على إدراج مليشيات إيران في قوائم الإرهاب الدولي، وبذلك أعطت مفهوماً عميقاً للإرهاب الذي سيجرّ إيران حتماً إلى ساحة المعركة، سواء ضد السلم العالمي، وهذا ستكون تداعياته خطيرة عليها، أو كطرف محارب للإرهاب، وهذا أيضاً يقوض مصالحها التي تتحققها عبر مليشيات إرهابية موالية لها، سواء كانت منظمة "حزب الله"، أو "أنصار الله"، أو تنظيمات أخرى محسوبة على السنة، ولكنها مختلفة، وتعمل لصالح طهران؛ عبر توجيه داخلي، وتحكم عن بعد.

ما تقوم به السعودية من حيث التعبئة العربية والإسلامية ضد الإرهاب سيجعل إيران بين خياراتين:

- تدخل الحرب على الإرهاب وتواجه بنفسها مليشياتها، وهذا سيخلق حرباً داخلية بينها وبين إرهابيين صنعتهم.
- تخندق رسمياً مع الإرهاب، وهذا بحد ذاته سيجعلها في مواجهة العالم، وخاصة شعوبه التي صارت تكتوي من عمليات تستهدف أمن الأوطان.

طبعاً في الحالتين نجد أن المملكة العربية السعودية تعاملت بذكاءً إستراتيجيًّا كبيراً في مواجهة المشروع الإيراني الهدام، وستقطف ثمار هذه الإستراتيجية الفعالة مستقبلاً، التي أرعبت طهران، ودفعتها للسباق مع الزمن؛ من أجل تفادى الضربة القاضية لمشروعها، والتي صارت شبه مؤكدة.

الإرهاب صار مجرد سلعة رائجة، فإذا كان الذي تريد أن تحافظ على نفوذها تستعمل المليشيات والتنظيمات الإرهابية، وقوى عظمى تريد أن تنشئ أسواق السلاح، وترفع من أسهمها الاقتصادية، وتحافظ على مصالحها النفطية، هي بدورها تستعمل فزاعة الإرهاب، والأنظمة العربية الفاسدة التي تريد أن تبقى في السلطة بدورها تصنع بمخابراتها جماعات إرهابية؛ حتى يصطف العالم معها، ويبذر لها جرائمها بحق شعوبها.

لا يمكن أن ينتهي الإرهاب، بل سيتصاعد، وسيأتي يوم تظهر فيه وحشية "داعش" أرحم بكثير من تنظيمات أخرى ستأتي لاحقاً، فقد أنسنت الجماعة الإسلامية المسلحة في الجزائر وحشية الجماعة الإسلامية في مصر، ثم جاءت القاعدة، وصارت الجماعة الجزائرية لا تعني شيئاً، ولما ظهرت "داعش" صار الناس يضربون الأمثال باعتدال القاعدة وإنسانيتها، رغم كل جرائمها، والأمر نفسه إن تواصلت عمليات التجارة بالإرهاب على المستوى الدولي، وبالطريقة التي نراها الآن.

حتى نختصر الطريق على العالم، إن كان جاداً في حربه على الإرهاب، نقول له: بأن البشرية ستبقى مهددة في أنها واستقرارها، إن بقيت القوى الكبرى تنظر إلى نظام إيران على أنه حليف إستراتيجي، فلا توجد عملية إرهابية تقع على كوكب الأرض إلا وبصمات المخابرات الإيرانية موجودة فيها بطرق مختلفة.

الملايي الذين يرضعون الإرهاب من صدور الحozات لا يمكن أن يصنعوا السلام العالمي ما دامت عندهم دولة تتمتع ببعضوية في الأمم المتحدة، ولها جيشها ومليشياتها المنتشرة هنا وهناك، يتحكم فيهم "الولي الفقيه" تحت مسميات دينية متطرفة لأبعد الحدود، وليس لها علاقة بالإسلام، بل مجرد كهنوت للكراهية ضد الآخرين فقط.

المصادر: